ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه
الاعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا
كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين
فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتاتى فيه ان تفتح نونها وتصير
ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا
واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد
وهو شريح بن اوفى العبسي • يذكرني حاميم والرمح شاجر • فهلا تلا حاميم قبل التقدم •
فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع
فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته
الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال •
وجدنا في كتاب بني تميم • احق الخيل بالركض المعار
وقال • سمعت الناس ينتجعون غيثا • فقلت لصيدح انتجعي بلالا
وقال • تنادوا بالرحيل غدا • وفي ترحالهم نفسي
وروي منصوبا ومجرورا وتقول لاهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى **فان قلت** فما وجه قراءة من قرا صاد
وقاف ونون مفتوحات **قلت** الوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه
مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين
ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين **فان قلت**
هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن
على حذف حروف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة • الا رب من قلبي له الله ناصح •
وقال الاخر •
اذا ما الخبز تاكله بلحم • فذاك امانة الله الثريد
قلت ان القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين
قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواو ان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى
فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان
ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان
تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال
وتقول وحياتي ثم وحياتك لافعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو هنا ولا سبيل فيما نحن
بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب **فان قلت**
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو
للعطف حتى يستتب المصير الى نحو غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير ما اثرت البته
قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه
الحروف **فان قلت** فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر **قلت** وجهها ما
ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر
بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة
الان واخرى معاملة هولاء **فان قلت** هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت
لي في المعربة من ارادة معنى القسم **قلت** لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم
مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر
والنصب جميعا على حذف الجار واضماره **فان قلت** فما معنى تسمية السورة

بهذه

بهذه الالفاظ خاصة **قلت** كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا
كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرانا عربيا
فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور
اساميها **قلت** لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت
العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع
في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح
وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجية
لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني
عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء
الخط وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في
كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف
لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه
الوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد
كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر
في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم ليؤديهم النظر المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين
ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه
ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء
الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في
القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق
وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين
البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة
والخلاقة بالقبول بمنزلة ولناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب
مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم
احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج
الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت
عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى
ما تذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل
لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد بل وهذه السور وهذه الاي
وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك فاتحتها
فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا
ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية
بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما
واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار
فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب
قرناها وكما سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة
على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا
لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا
منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث
كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)